

امكتبة القبطية على الانترنت



زيارة اموقع

دير القديس أبنا مقار

برية شيهيت

في اللاهوت

ألقاب المسيح

- ١ -

ماهية المسيح

لاهوت المسيح الذي حدّد مصير الإنسان

(تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية)

الأب متى المسكين

ماهية المسيح^(١)

□♦♦♦□

المسيح لا يُعرف في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلا بالنسبة لله. وما صار إليه بالتجسد في علاقته بالإنسان.

والآية الرائدة التي اتخذها كل الآباء القديسين واللاهوتيين عموماً، هي آية سفر العبرانيين التي أوحى بها الله لكاتب^(٢) سفر العبرانيين ليتدبّر بها سفره الثمين الذي يدور بأكمله حول شخص يسوع المسيح. وقد عرّفه في هذه الآية تعريفاً في غاية الدقة بالنسبة لله، سواء من جهة طبيعته أو شخصه هكذا:

+ «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمِلَ العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهريه وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في

(١) الماهية هي كلمة تعبر عن مَنْ هو الشخص من جهة شخصه وطبيعته. على أن الماهية في اللاهوت غير الماهية في الأشياء: الماهية في اللاهوت مستمدة من كلمة "هو"، و"هو" في اللاهوت لا تعبر عن الغائب، ولكن تعبر عن الكائن بذاته وهو الله. ولجعلها بوضوح في قول المسيح: «أنا هو».

(٢) وهو بولس الرسول بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية.

الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل
منهم.» (عب ١:١-٤)

وهكذا لكي يدخل الوحي إلى التعريف بمهية المسيح، بدأ أولاً
بالأنبياء ليتجاوزهم شأنًا وزماناً، إذ حصرهم جميعاً في العهد
القديم الذي انتهى سنة ٤٠٠ ق.م، ثم بالنهاية نجده يتجاوز
الملائكة أيضاً باعتباره أعظم منهم جميعاً، وهو بحال تجسده؛ إذ لما
قام من الموت بمجده، وقد ظفر بالشيطان وكل رئاساته، حاز
خلاصاً من الخطية والموت لكل بني البشر، وارتفع فوق أعلى
السموات باقتدار عظيم:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق
كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى، ليس في
هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء
تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء...» (أف
٢٠:١-٢٢)

وبهذا الانتصار الفريد فوق الموت كأعظم عدو، والظفر
بالشيطان باعتباره مَنْ له سلطان الموت!! وارتفاعه السامق فوق
هامات الملائكة كأقنُس خلاص الله؛ ورث اسماً أعظم منهم إذ
تعيّن أنه هو ابن الله الذي تجسد! ثم بعد أن ظهر وعُرف واستعلن
وتعيّن أنه هو هو ابن الله، بدأ الوحي بوصف المسيح في علاقته
بالله ذاته.

«الذي هو بهاء مجده»: ὅς ὢν ἀπαύγασμα τῆς δόξης αὐτοῦ
وهذا الوصف تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بطريقتين:
الأولى: وهي بحسب النص اليوناني حرفياً:

who being (the) **Radiance** of the **Glory** of **God**.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

He reflects the Glory of God.

وبهذا نفهم صفة المسيح طبيعياً بالنسبة للآب هكذا: أن المسيح هو إشعاع يعكس طبيعته مجد الله. وهذا الوصف قائم أساساً على علاقة طبيعة المسيح بطبيعة الله على أن طبيعة الله هي مجده، ومجده هو نور. وهذا هو ما اصطلاح عليه الآباء القديسون الأوائل بمقولة لاهوتية صارت جزءاً لا يتجزأ من إيماننا، أن المسيح هو "نور من نور".

فلن كان «الله هو نور لا يُدنى منه»، فالمسيح كابن الله هو كما قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم». وكما شهد له القديس يوحنا واصفاً طبيعة المسيح: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو ١: ٩). ثم يعود القديس يوحنا ويصفه هكذا: «وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة». (يو ١٩: ٢)

«ورسم جوهره»: χαρακτήρ τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ

وقد ترجمتها اللغة الإنجليزية بطريقتين:

الأولى: حرفية:

The representation of the reality of him.

والثانية: بحسب المعنى المباشر:

bears the very stamp, of his nature.

وهكذا يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية هكذا:

أ. المسيح هو المثل لشخص الله.

ب. المسيح حامل لذات الطبيعة أو الصورة لشخص الله.

فإن قال الله في العهد القديم عن شخصه: «أنا هو الأول والأخير» (إش ٤٤: ٦؛ ٤٨: ١٢)؛ فالمسيح قالها عن شخصه بتأكيد: «أنا هو الأول والأخير... الألف والباء، البداية والنهاية» (رؤ ١: ١٧ و٨). بمعنى أن الله في ذاته يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ولا حتى الفكر، فهكذا هو المسيح بالمثل. وقد أكد المسيح مراراً هذه الحقيقة أنه حامل لذات صورة شخص الله: «الذي رأيته فقد رأي الآب» (يو ١٤: ٩)، ولكي يحسم وحدانية الآب والابن ويحرم أي فكر من أن يفكر في ثنائية الآب والابن، قالها واضحة أشد الوضوح وتأكيد: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)؛ بمعنى أن الآب والابن - بالرغم أن الآب هو دائماً أب، والابن هو دائماً ابن في الواقع المطلق - إلا أنهما ذات واحدة، وكيان واحد، وهذا أوضحه بقوله: «أنا في الآب، والآب في» (يو ١٤: ١٠)

وخلاصة هذه المعلومة الإنجيلية القائلة بأن المسيح هو «رسم

جوهرة»، ومن واقع التعريف والشرح الذي أوضحناه، ندرك ما قاله الآباء القديسون بمقولتهم اللاهوتية التي دخلت في قانون الإيمان القويم: إن المسيح "إله حق من إله حق".

فمن جهة طبيعة المسيح بالنسبة لطبيعة الله الأب: هو "نور من نور"، ومن جهة شخص المسيح بالنسبة لشخص الله الأب: هو "إله حق من إله حق".

ولعل وصف الله لذاته - عندما طلب منه موسى: «فالآن إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينك فعَلِّمني طريقك حتى أهرفك...» (خر ٣٣: ١٣) - يُعتبر أول استعلان لطبيعة الله وشخصه، إذ قال لموسى:

+ «فتزل الرب في السحاب، فوقف (موسى) عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية...» (خر ٣٤: ٥-٧)

أما نحو بهاء الله - إشعاع طبيعة مجده - الذي احتواه المسيح إذ: «فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩)، وكذلك حقيقة رسم جوهرة الله - صورة شخص الله - الذي حملته: «الذي رأيته فقد رأى الأب» (يو ١٤: ٩)؛ فهذه وتلك فوق إدراكنا وأعلى وأعظم من أن يفحصها أحد. ولكن المسيح على مدى ثلاث سنوات ونصف، عمل وعلم وأتى من المعجزات

والآيات - هذه التي سجلتها الأناجيل الأربعة بكل دقة وباستعلان الروح القدس - إن توفرنا على الالتصاق بها بالروح والقلب، نستطيع أن نأخذ منها ما يكفي ليرشح في أعماق روحنا وإيماننا لشهد ونعترف أن المسيح حقاً هو بهاء مجد الله، أي يمثل لنا حقاً طبيعة الله، وأنه حامل الجوهر الله أي صورة صادقة لشخص الله.

والمسيح كان يعلن عن طبيعته وشخصه في كل ما قال وعلم وعمل، وليس فقط بهذه؛ بل وبالأكثر في الصليب والقيامة المهيبة، مستعلنًا لنا قوة وعظمة ونعمة الله التي كان يجاها كنموذج حيي لله لكي يسلمها لنا بالسر. لذلك يتحتم لنا أن نعلن أن كل ماهية المسيح التي استعلنها لنا بالإنجيل، كان يقصد بها قصداً أن يسلمها لنا لتكون فيها شركاء معه^(٢)، حسب مسرة الله الأب الذي أرسله لهذا عينه. لأنه إن كان قصد الله حينما صور طبيعته وشخصه لموسى، هو أن يستمد موسى من هذه الطبيعة وهذه الصفات التي طرحها كحقيقة حية فعالة في فهمه وروحه ووجدانه - يستمد قوة ونعمة وإرشاداً وهداية يعبر بها أهوال غربته التي طالَّت بطول حياته. فكذلك وبنفس القصد والقوة، طرح الله لنا نفس طبيعته وصفاته، ليس شفاهاً بالكلمة وحسب كما كان لموسى؛ بل استودعها كاملة في شخص ابنه لما تجسَّد، لكي نستلمها منه بالنعمة وبالسر، نستلمها كاملة أيضاً وغير منقوصة

(٢) نحن نسمي «شركاء للمسيح» (عب ١٤: ٣)، و«شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤)، ليس بمعنى أن تتغير طبيعتنا إلى طبيعة الله بل بمعنى أنه يمثل هو هذا نمس قوله: «أنا معكم» (يو ٢٠: ١٤)، فهنا شركاء في صفاته الخاصة.

لتعبر بها، ليس على مدى غربتنا على أرض الشقاء فحسب، بل
ولتكون هي بعينها سمة حياتنا الجديدة المؤهلة للمشاركة مع الله في
إيته المحبوب لحياة الأبد، في ملء طبيعته وصفاته، كقول بولس
الرسول العجيب: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تثبتوا
إلى كل ملء الله.» (أف ١٩: ٣)

ولنا في ذلك شهادة من المسيح تعبر ذات قوة وذات دفع:
«أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أميكم عييداً لأن
العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأنني
أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٤ و ١٥). ثم أيضاً
هذه الشهادة ذات المضمون الإعلاني الفريد الذي بلغنا به ملء
الحياة الأبدية بمعرفة طبيعة الله في المسيح، وشخص الله في المسيح:
+ «مجد ابنك لمجدك ابنك أيضاً، إذ أعطيت سلطناً على كل
جسد يُعطي حياة أبدية لكل من أعطيت. وهذه هي الحياة
الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع
المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ١-٣)

وهكذا إذ عرفنا الله والمسيح معرفة الشركة في ذات الطبيعة
والشخص، فلنا ملء الحياة الأبدية. والقديس يوحنا يشهد
ويعترف بلساننا:

+ «ورأينا مجده مجدداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.»
(يو ١٤: ١)

+ «ومن ملكه نحن جميعاً أخذنا، ونعمة فوق نعمة.» (يو ١٦: ١)،

+ «وقد رأينا ونشهد ونعمركم بالحياة الأبدية التي كانت عند
الأب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نعمركم به لكي
يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع
الأب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١ يوحنا ٢: ٤-٥)

(يولييه ١٩٩٣)

في لاهوت المسيح

الذي حدد مصير الإنسان!!

□♦♦♦□

إن كان العهد الجديد بكل أسفاره يكاد لا يعطي المسيح اسم "الله" *Θεός* مباشرة حتى نقول إن المسيح الله، فذلك لصورة حتمية؛ لأن المسيح هو "ابن الله"، والابن لا يمكن أن يكون "الله" إلا مع الآب.

غير أن المسيح لكي يعرف أو يستعلن نفسه أنه الله *Θεός* مع الآب فعلاً قال صراحة: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، و«أنا في الآب، والآب في» (يو ١٤: ١٠). هذا معناه أنه لا يمكن أن يوجد الابن وحده أو الآب وحده. بمعنى أنه إذا ذكر الابن، يكون معه الآب حتماً ودائماً. لذلك أصبح من المفهوم الصمغي أن يقال إن الابن، أي المسيح، هو الله باعتباره قائماً دائماً في الآب لأنه لا يمكن أن يوجد المسيح وحده «وتركوبي وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي». (يو ١٦: ٣٢)

أ - وحيداً أعلن المسيح نفسه أنه "ابن الله"، أدرك معاندوه - وهم الكتبة والفريسيون لاهوتيو العهد القديم - أنه بذلك يعتم نفسه إلهاً مباشراً، هكذا: «وأنا أعطيتها حياة أبدية، ولن تهلك إلى

الأبد، ولا يحفظها أحد من يدي؛ أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل - ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٢٨-٣٠). فكان رد اليهود أن طسوا أن يرجعوه قائلين: «فأنت وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً» (يو ١٠: ٣٣)، وطبعاً لأنه قال: «أنا والآب واحد»، والمسيح بالفعل هو كذلك، لأنه هو والآب واحد. فهو لم يجعل نفسه إلهاً بل وهو الإله جعل نفسه إنساناً - هذه هي الحقيقة التي فاتت عليهم - ودلت لكي يعلن هم الله في نفسه ظاهراً مسموعاً: «الذي رأي فقد رأى الآب.» (يو ١٤: ٩)

فالمسيح تخشى أن يقول مباشرة به إله أو هو الله، ولكنه قامها وأكدها وصمّم عليها عندما قال: «أنا والآب واحد». فإب كان لأب هو الله حقاً، فالمسيح يكون بالضرورة هو الله بالحقيقة، وبكس لكي نتخشى الازدواجية في الألوهة، نقول إن الله الواحد هو الآب والابن، على أنه لا يمكن أن يكون الآب وحده هو الله، ولا الابن وحده هو الله بل إن الابن والآب هو الله الواحد. وكلمة واحد هنا ليست رقمية ولا تمت للأعداد المادية بقياسية بصفة بل "الواحد" بالروح، فالله روح واحد: آب وابن، بدلت نقول إن الله آب وابن وروح، أو على سبيل الإيضاح نقول بـ الله روح هو، آب وابن.

ب - على أن الآب والابن ليسا ذاتين؛ بل ذات واحدة، فيها الأبوة وفيها البروة. حيث من لأسوة الإلهية في الله صدرت كل

أبوة في الوجود (أف ١٥٠٣)، ومن البتوة الإلهية في الله صدرت كل بتوة في الوجود. فالله مصدر كل أبوة وكل بتوة في الوجود. والله، ومعلوم أن الحياة والوجود في العام يقومان بقيام الأبوة والبتوة، فلو توقفت الأبوة في الحياة والعام تلاشت الحياة وتوقف العالم، كذلك البتوة إن توقفت توقفت الحياة وانتهى العالم. بدأ فالأبوة والبتوة الإلهية الثابتة والدائمة في الله هي مصدر وقيام ودوام الحياة واستمرارها في العالم والوجود. وبالتالي لا يمكن بل ويمكن أن يكون في الله أبوة وحسب، أو بتوة وحسب، أو أن يكون الله بلا أبوة وبتوة وإلا ما كانت حياة ولا وجود لحى.

ج - وفي الذات الإلهية - كما يقرر مجمع نيقية المقدس - لا يصح أن يُنظر أو يُقال أيهما أسبق: الأب أو الابن، لأن الذات الإلهية هي وجود وكيان مطلق منزّه عن الزمن، فلا سابق ولا لاحق. فالأب والابن هما كيان الذات الإلهية الواحد، وهو كيان أزلي. فالأب أزلي هو، والابن أزلي بالضرورة.

والأب مساوٍ للابن، والابن مساوٍ للأب، لأيهما جوهر واحد و ذات واحدة. الأب يكمل الابن بأبوتيه، والابن يكمل الأب ببوتيه. فالسواوي حتمي هو، حيث يتوجب التطابق المطلق بحكم الذات الواحدة. لذلك نقول بوحدانية الله المطلقة، فالله واحد مطلق، ولا تمايز بين الأب والابن إلا في الأبوة كصفة الله الذاتية والبتوة كصفة الله الذاتية أيضاً. وهما واجد أحد، لأن الأب يحب

الابن حُباً مطلقاً بأن يعطيه كل ما له، والابن يحب الآب حُباً مطلقاً بأن يعطيه كل ما له^(٤). فيالحب الإلهي المطلق توحدت ذات الله. فالله واحد هو لا من متعلق الأعداد؛ بل من مطلق الحب الكلي المطلق الذي يأسر الفكر والقلب، لأن وحدانية الله هي غالبة حبه الكلي الذي به خلق وأبدع فتغلغل حبه في كل ما خلق وكل ما أبدع، ولحبه لقاهر تتعبد له الخليفة وتخضع.

د - والمسيح كان شديد الحساسية، شديد اليقين بمساواته للآب، لأنه هو لابس الوحيد المحبوب المتحد، فمن يقين إحسانه بحب الآب المطلق (يو ٣: ٣٥ - ٥: ٢٠)، ومن يقين حبه هو للآب حُباً مطلقاً (يو ١٤: ٣١)، كان يرى المساواة حقيقة يجاها ويكرز بها، ويمارس عمل العناء الذي أعطاه أبوه بخضوع فاق خضوع العبد، لأنه كان خضوعاً لا يشوبه قصور أو ضعف؛ بل خضوعاً مطلقاً أيضاً تخليه عليه طاعة قلب الابن ويحرسه صميم الحب الهوي، فجاء البذل حسب مشيئة الآب وإرادته تماماً.

هـ - أما إذا سألت كيف يكون في الذات الواحدة الأبوة والبنوة معاً، فعليك أن تفحص الذات البشرية. فكل إنسان فيه الأبوة وفيه البوة معاً، ولكن في الإنسان تخرج السوة من الرجل بالروح، أي بأن تأخذ البوة التي في كيان إنسان جسداً من امرأة فيظهر للإنسان ابن، هو ابنه الذي كان في كيانه مخبئاً وحرر

(٤) من هنا كانت حتمية لأبوة والبوة في الله حتى تتكامل الذات الإلهية بالتكامل المطلق بأن يكون الله محباً حُباً كلياً، وهذه صفة الأبوة؛ وأن يكون الله محبباً حُباً كلياً، وهذه صفة البوة. ويهدى بصر الله في ذاته محباً ومحبباً على وجه الإطلاق، وهذه منتهى تكامل الذات

إلى الوجود بالزيجة وحصوله على جسد من زوجة. أما في الذات الإلهية المنزهة عن الزيجة، فابن الله الذي في كيان الذات الإلهية محضٌ يخرج إلى الوجود البشري بأن تجسد، أي أخذ جسداً من عذراء بالروح القدس بدون زيجة، مظهر في الوجود "كإبن الإنسان" لأنه مولود من امرأة، ولكنه هو في حقيقته ابن الله، باق كما هو ولكن مولوداً من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم. خرج إلى الوجود البشري وهو كما هو كائن في الذات الإلهية مع أبيه (يو ١٨: ١)، وذلك بحسب مشيئة الأب أن يخرج ابنه «من عند الله خرجت» (يو ١٦: ٢٧)، ليعلم في ذاته عن حقيقة الله الأب والابن. فلولا التجسد ما عرفنا الذات الإلهية أنها أب وابن وروح القدس.

ولكن ابن الله وإن كان قد وُلد من العذراء ومن الروح القدس، إلا أنه لم يولد من الأب قط بالمفهوم الزمني لأن الله الأب روحٌ هو، وهو منزه عن الولادة والحدث الزمني، لأن الميلاد كفعل زمني يتم على مستوى الجسد والزمن؛ ولكن يستحيل استحالة قاطعة أن يكون في الله، وعلى مستوى الروح والأزل، فعل ولادة زمنية.

وهذه الحقيقة الهامة هي ما أراد القديس أناسيوس الرسولي أن يُعبرَ عنها بقوله: إن "الأب" مولود قبل كل الدهور. فهذا قصد القديس أناسيوس بقوله: قبل كل الدهور "ما هو ليس زمنياً"، أي قبل أن يوجد زمن، أي في الأزل. وذلك لينفي عن الله الفعل والحدث الزمني للولادة، لأن في الأزلية وقبل الدهور والزمن م يكن فعل ولا حدث وبالتالي لم

يكن فعل ولادة. لذلك يقول القديس أنثاسيوس بمتهى الوجود إنه "مولود" كحال وليس كفعل أو حدث، أي لم يقل وَلِدَ كفعل ماضٍ، الأمر الذي يستلزم وجود الزمن؛ بل قال مولوداً، أي كحال وجودي. فالابن في الأزل كان مولوداً لا من فعل ثم؛ بل كحال قائم، أي أن الابن كان مولوداً في الأب في الأزل دون ولادة، أي كان كائناً موجوداً بوجود الأب.

لذلك يصيف القديس أنثاسيوس توضيحاً لذلك: أن ليس في الأب ولا في متقدم أو متأخر، ليس سابق أو لاحق، أي أن وجود الأب لم يسبق وجود الابن ولا اللاحق كان وجوده لاحقاً لوجود الأب، وإلا دخل الزمن في طبيعة الله، وهذا محال. فالأب والابن وجودهما واحد ومتلازم منذ الأزل.

وهكذا قال القديس أنثاسيوس مقولته اللاهوتية التي أخذ بها مجمع نيقية وصارت قانوناً للإيمان المسيحي: إن الابن "مولود قبل كل الدهور"، وهذا يعني أن الابن قائم في الأب قبل الزمن، أي منذ الأزل. وهذا تحداته بمعنى عبى الله "فعل" الولادة الذي حبر غير المسيحيين، بل والمسيحيين أيضاً، دون أي داعٍ لذلك.

والقديس أنثاسيوس قول واضح يوضح فيه هذه الحقيقة:
[الأبناء المولودون للناس هم مقطعون من آباءهم، لأن طبيعة الأجساد ليست علمة الزكيب (أي ليست بسيطة بل قابلة للانقسام)، لذلك فهي في حالة تنابع (أباء ثم آباء ثم أبناء.. وهكذا). وهي بذاتها، أي الأجساد مكونة من

أجزاء، ومعروف أنه بقدر ما يفقد الإنسان من جسمه في التوليد (ذكراً كان أو أنثى)، يعود ويكسبها بتناول الطعام. ويجب هذه الحقيقة فإن الناس يصرون في زماهم آباء لأبناء كثيرين، ولكن الله لأن طبيعته غير مركبة، وبالتالي بلا أجزاء، فهو أب للابن - الذي له - دون انقسام أو آلام. لأنه لا يوجد استنزاف من الداخل للخارج ἀπορροή (أي ولادة) في طبيعة المادية - وفي نفس الوقت - هي غير مستهدفة للإضافة عليها من الخارج كما هو الحال في الإنسان. ولأن طبيعة الله غير مركبة - أي بسيطة - فالله أب لابن واحد وحيد.

لهذا يقال للابن إنه مولود وحيد *μονογενής*، والوحيد القائم في حضن أبيه، والوحيد الذي يقرأ الآب أنه منه قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ١٧: ٣). وهو بأن واحد كلمة الآب، الأمر الذي منه ندرك عدم تألم وعدم تجزئة طبيعة الآب. لأنه إذا كانت كلمة الإنسان نفسها يلدها الإنسان بلا ألم أو تجزئة، فكيف بالأحرى كلمة الله.

القديس أناسيوس الرسولي - شرح قانون مجمع بيقية ١١ (٥).

PG 25, 444; NPNF 1st Ser. Vol. IV, 157.

(٥) ويقتربك هلد من الأباء مع القديس أناسيوس في هذه الفكرة، أي أن فلب "الكلمة" يخرج بوه المسيح تماماً من مفهوم الولادة المادية (انظر القديس كيرلس الكبير - الكريز في الثلاث ١٥ والقديس يوحنا ذهبي الفم - شرح إنجيل يوحنا ٢ مقبرة ١٤ والقديس غريغوريوس النيسي ضد أونوميموس - الكتاب الثالث ص ١٠٧).

الروح والأزل منزهاً عن الزمن وعن الأحداث والأفعال، وهذه هي طبيعة الله الفاتقة غير المستهدفة للأفعال والأحداث الزمنية. فالمسيح هو ابن الله القائم الدائم في الذات الإلهية كابن مع الآب كائن فيه منذ البدء، منذ الأزل، مخرج بمشيئة الآب إلى الوجود الزمني البشري بأن اتخذ له جسداً من عذراء، أي جسداً عذرياً بدون رجل فظل قدوساً بعد ولادته «فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). وهكذا اتحد بالشرية عن إرادة لما أخذ جسداً منها، ولما وُلد صار نائباً عن الله كابن الله في جسد إنسان، ذلك في المحيط البشري يُعلن عن الآب لأنه هو والآب واحد بالتساوي المطلق، ويُظهر حقيقة الآب غير المنظور «الذي رأيته فقد رأي الآب» (يو ١٤: ٩)، ويعمل كل مشيئة الله من جهة خلاص الإنسان من عَرَض الخطية وعَرَض الموت الذي أصاب الإنسان نتيجة عصيانه لله، فحمل خطية الإنسان في الجسد ومات بالجسد ليخلص الجسد، أي البشرية، من الخطية وعقوبة الموت. وقام بعد أن مات، فأقام الجسد - أي جسد الإنسان - بالروح ليحيى حياة ثانية جديدة بالروح منزهاً عن الخطية والموت، ليحيى الإنسان مع الله كما كان في شخص آدم قبل السقوط، ولكن دون احتمال سقوط مرة أخرى أو عصيان أو موت، في حياة أبدية مع الله، متحداً بجسد المسيح ليراعي الإنسان الجديد أمام الله الآب في المسيح كابن مع الابن.

و - أنا هو $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ ومعناها أنا الكائن بذاتي، أو أنا

هذا اللقب على فم المسيح يُعتبر لقباً استعلائياً، فهو يلفت النظر إلى أن المتكلم هو نفس المتكلم في أسفار العهد القديم «أنا هو الرب»، «أنا هو الرب الإله».

وقد اختص إنجيل يوحنا بهذا اللقب، لأن إنجيل يوحنا يُعتبر إنجيلاً استعلائياً، وقد ورد فيه هذا اللقب ٢٩ مرة، في حين لم يرد وروده في الأناجيل الثلاثة الأخرى عن أربع مرات أما وروده في أسفار العهد القديم، فقد ورد ١٠٦ مرات بالنص الحرفي «أنا هو». ويزيد إنجيل يوحنا في جعل هذا اللقب استعلائياً بالدرجة الأولى بأن سحَّله كاسم شخصي للمسيح في بعض المواضع تماماً، كما جاء في العهد القديم لاستعلان شخص الله المتكلم، ولكن الملفت للنظر جداً أنه يؤكد أن اسم الأب «أنا هو» قد أُعطي للمسيح ليكون اسم المسيح «أنا هو» أيضاً، مثلاً الآب أقوى وأدق تمثيل حيث نسمع المسيح في إنجيل يوحنا الأصحاح ١٧ يُعاطب الآب هكذا: «أيها الآب القلوس أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني» (يو ١٧: ١١). وهذا مطابق للحقيقة التي أبرزها سفر الخروج ٢٣: ٢١ و٢٠: «... ولا تتمرّد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم، لأن اسمي فيه». وهنا نُوحي القارئ لعدم الدقة الذي جاء في الترجمة العربية، إذ جعلت الآية «أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني»، وهذا مخالف للنص اليوناني. وأيضاً «كنت أحفظهم في

(٦) راجع: "لندخل لشرح إنجيل القديس يوحنا"، ص ٢١٨-٢٤٦

اسمك الذي^(٧) أعطيتني» (يو ١٧: ١٢)، موضحاً أن المسيح هو "الله متكلماً" أو هو "كلمة الله"، و"رسالة الله الشخصية"، فحين يتكلم المسيح فانه هو المتكلم. ولكي يتحقق القارئ من هذا نعطى مثلاً للثلاث:

العهد القديم "الله" ^(٨)	العهد الجديد "المسيح"
«ميعرف المصريون أنني أنا هو حين أتحدث.» (خر ١٤: ١٨)	«مننى راعى ابن الإنسان، فحيث تفهمون "أني أنا هو."» (يو ٨: ٢٨)
«لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا "أني أنا هو."» (يش ٤٣: ١٠)	«لأنكم إن لم تؤمنوا "إنني أنا هو" تؤمنون في خطاياكم» (يو ٨: ٢٤)
«أنا أوعى غنمي وأرعىهم يقول السيد الرب... فيعلمون أنني أنا هو الرب.» (حز ٣٤: ١٥ و ٣٠)	«"أنا هو" الراعى الصالح، وأعترف بحاصتي وخاصتي تعرفني.» (يو ١٠: ١٤)
«اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته أنا هو. أنا الأول وأما الآخر.» (يش ٤٨: ١٢)	«أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء.» (رؤ ١: ٨)
«أنا هو الرب فأحصي القلب مختبر الكللي لأعطي كل واحد حسب طرقته، حسب ثمر أعماله.» (إر ١٧: ١٠)	«فستعرف جميع الكنائس "إنني أنا هو" الفاحص القلوب، وسأعطي كل واحد منكم حسب أعماله.» (رؤ ٢: ٢٣)

(٧) الوجهة الصحيحة هي البريانية "الذي" وليس "الدين"

(٨) راجع القائمة الكاملة في كتاب "تدخل شرح" جيمس القديس يوحنا، ص ٢٤٤

واضح هنا أن اسم الله في القديم كان "أنا هو" $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ ، كما هو واضح أن الله أعطى اسمه هذا للمسيح "الابن" «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه» (تث ١٨: ١٩)، «لأن اسمي فيه». (خر ٢٣: ٢٠ و ٢١)

ولكن ما معنى أن يحمل المسيح اسم الأب؟
المسيح يرد على ذلك ردًا واضحاً مقنعاً شارحاً ذلك: «أنا قد أتيت باسم أبي، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه، فذلك تقبلونه» (يو ٥: ٤٣)، «الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (يو ١٠: ٢٥). وعلى القارئ الباحث أن يلتفت إلى أن اسم "أنا هو" الذي كان ينطق به المسيح ليعبر عن اللاهوت الذي فيه، يأتي بالعربية ناقص الفعل في قوله "أنا هو". فحينما يقول "أنا هو الراعي الصالح"، فأصلها في اليوناني "أنا أكون الراعي الصالح" أو "أنا الكائن بذاتي الراعي الصالح". فالضمير في العربي "هو" في "أنا هو"، يأتي في اليونانية فعلاً "أكون" $\epsilon\iota\mu\iota$ ، وليس ضميراً. لذلك اختفى الاسم الإلهي الذي للمسيح «أنا هو أكون» في كل الترجمة العربية للأسف.

فالمسيح عند قوله «أنا هو الراعي الصالح»، يعلن أولاً لاهوته بذكر اسم الألوهة كاملاً $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ "أنا الكائن بذاتي" أو "أنا الكائن"، ثم يعلن ما صار إليه - الراعي - وتفهم هكذا "أنا الكائن بذاتي صرت راعياً"، وهو المعنى الحرفي في اليونانية لقوله «أنا هو الراعي». وهكذا كل ما نطق به المسيح بذكره "أنا هو"، فهو باليونانية "أنا الكائن $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ ".

من هنا تنجلي أمام أعيننا قوة التعبير الإلهي في وصف المسيح لنفسه أنه الكائن بذاته الأزلي، وهو بذلك ليس راعياً لخراف حيوانية حرماء؛ بل راعياً صالحاً «لماذا تدعوني صالحاً؛ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مر ١٠: ١٨)، بمعنى «راعي إلهياً» لحياة الخراف الناطقة. لذلك يقول أيضاً «أنا الكرمة الحقيقية»، وترجمتها العربية الصحيحة: «أنا هو الكرمة الحقيقية»، حيث «الحقيقية» هنا ترفع عن الكرمة كيانها المنظور المادي وصلتها بالأرض، لأن الحقيقي هو السمائي والأزلي، وهو غير الظاهري المادي الفاني والزائل. فصلة الحقيقية للكرمة بقابلها في الضمير «أنا» بوضعه الأزلي = «أنا هو» أو «أنا الكائن بذاتي» أو «أنا الله صرت كرمة حقيقية بتجسدي، وأنتم في من "لحمي وعظامي"» (أف ٥: ٣٠).

لذلك تنبئ القارئ لاسم «أنا هو»، فهو يعطي للإنجيل كله فهماً جديداً قائماً متعالياً يليق بالمسيح الذي يقول «أنا والآب واحد». فالأنا هو $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ «اسم واحد» لجوهر الآب والابن، وهو اسم الألوهة ببيان ووضوح وتأكيد مفرح.

(أغسطس ١٩٩٣)

